

المحتويات

ص

- ١ د. مها سعيد حميد **الحمدانيون تاريخهم في الموصل و حلب**
- ٤ د. محمد نزار الدباغ **العلاقات بين الموصل و حلب في عصر
الاتابكية الزنكية (٥٢١-٥٧٩هـ / ١١٢٧-
١١٨٣م)**
- ٩ م. عامر بلو اسماعيل **الموصل و نينوى: المشهد في الموصل
سنة ١٩١٩**

الحمدانيون تاريخهم في الموصل وحلب

د. مها سعيد حميد*

يعد كتاب (الحمدانيون تاريخهم في الموصل وحلب) من الدراسات التي تناولت الأمارات الإسلامية التي عاشت على أطراف الخلافة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، وهو من الحجم الوسط وعدد صفحاته حوالي (٢٨٠) صفحة، ويمثل هذا موضوع من المواضيع التي درست في الجامعات العراقية في سياق تناول التاريخ الإسلامي، وكان قد ظهر الحمدانيون ورأوا انقراض عقد الإمبراطورية العباسية، وظهور دويلات وأمارات مستقلة في قلبها وعلى أطرافها تولى حكمها بعض القبائل العربية والفرس والترك، فشاركوا غيرهم هذه السياسة وحاولوا ان يصبح لهم من الأمر شيء في جزء من أجزائها فكان لهم ما أرادوا وحكموا في الموصل وجهاتها شمالي العراق، وكذلك في حلب ونواحيها شمالي الشام ودام حكمهم نيفاً وسبعين عاماً، وقويت شوكتهم حتى لقد شاركوا في تولية بعض الخلفاء العباسيين او عزلهم او قتلهم.

كان الحمدانيون في بداية أمرهم عمالاً للخلفاء على الموصل فلما توالى ضعف الخلفاء العباسيين سعت نفوسهم الى الاستبداد بالحكم والاستئثار بجباية الأموال، فاخذوا يضمنون البلاد الواقعة تحت أيديهم بمبلغ من المال يقدمونه للخلفاء العباسيين ومن ثم لأمراء بني بويه من بعدهم، ويعتبر تاريخ الحمدانيين تاريخاً لظاهرتين من ظواهر التاريخ الإسلامي أولاهما: انتصار العصبية العربية وظهورها أبان عصر كانت كل مظاهر الدولة الإسلامية فيه غير مستقرة، وثانيهما: اعتبار تاريخهم حلقة من سلسلة التنازع بين الشرق والغرب الذي تمثل في ظهور التنازع مع البيزنطيين والطلائع الأولى للصليبيين، وهذا الكتاب من تأليف الدكتورة مديحة الشراوي وهي مصرية الجنسية طبع في دار العالم العربي بمدينة القاهرة سنة ٢٠٠٩ وهو الطبعة الثانية. وهو كتاب حديث نسبياً ولا يرتقي لكتاب (الدولة الحمدانية) لفصيل السامر الذي يقع في جزئين. وهو في الأصل دراسة أكاديمية رصينة، اما كتاب (الحمدانيون تاريخهم في الموصل وحلب) فقد تضمن التمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، وقد تناول التمهيد انحلال العصبية العربية وضعف السلطة المركزية وقد عبرت المؤلفة عن وجهة نظرها وتفسيرها في كيفية أقامت الدولة العباسية بداية لاضمحلال النفوذ العربي في العالم الإسلامي، وظهور الانفصالية وموقف العرب وحالة العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ شهد هذا القرن

* استاذ مساعد، رئيس قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية.

وقوف الحمدانيون بوجه البيزنطيين فحموا دولة العباسية منهم وكانوا كالصخرة الصماء تحطمت عليها هذه الهجمات ودافعوا عن الأراضي الإسلامية من عدو قوي له مكانته وخطره آنذاك. أما الباب الأول فسلط الضوء على أصل الحمدانيون ودورهم في الحياة السياسية ويقع في فصلين الأول تحدث عن أصل الحمدانيين وكيف تمكن حمدان بن حمدون مؤسس الأسرة الحمدانية من رفع شأن قومه ونصر قبيلته، أما الفصل الثاني فتناول كيفية استخدام الخلفاء العباسيين لأبناء حمدان في مصالح الدولة ابتداءً من الحسين بن حمدان (ت ٣٠٦هـ/١١٨م) الذي عمل على إخضاع الطولونيين في مصر، كما عمل على خلع الخليفة المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز، ثم توليه ديار ربيعة وديار بكر وأراد الاستقلال، ثم اتهم الحسين بن حمدان بالتأمر على الخلافة العباسية وقتله، كما ركز الكتاب على شخصية عبد الله بن حمدان أبو الهيجاء ودوره في إخضاع الثوار بمدينة الموصل وحكم هذه المدينة، فضلاً عن دفاعه عن بغداد ضد خطر القرامطة، كما كان لعبد الله بن حمدان يد في خلع الخليفة المقتدر بالله والتي انتهت بمصرع أبو الهيجاء سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، أما بقية أبناء حمدان مثل أبو العلاء سعيد وأبو السرايا نصر فلم تكن لهم ادوار سياسية مهمة في تاريخ الخلافة العباسية بحيث تقارن بالدور الذي لعبه كل من الحسين وأبو الهيجاء،

أما الباب الثاني فشمل الحمدانيون في الموصل (٣٢٢ - ٣٦٧هـ/٩٣٤ - ٩٧٧م) وتناولت فيه الباحثة كيفية تأسيس الإمارة الحمدانية في الموصل في عهد الخليفة الراضي بالله سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م)، وكذلك تطلع الحمدانيين للقبض على زمام السلطة العليا في بغداد وبعد استحداث نظام جديد في إدارة الحكم وهو منصب (أمرة الأمراء) الذي تولاه محمد بن رائق وذلك سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) والذي زاد الأمر سوءاً واضطراباً.

ثم تطرقت الباحثة إلى عودة الحمدانيين إلى مدينة الموصل مشيرة إلى أسباب ذلك منها انتشار الفساد والفوضى في الدولة العباسية ومضايقة الأتراك لسيف الدولة في واسط وتمردهم عليه، وظهور البويهيون على مسرح الأحداث وتوجههم نحو بغداد فعزلوا الخليفة المستكفي بالله وعينوا الخليفة المطيع لله الذي لم يكن في يده أي شيء من إدارة أمور الدولة، وتستمر الباحثة في عرض الأحداث التي سببت أضعاف الحمدانيين في مدينة الموصل حتى نهايتهم ومجيء البويهيين إلى السلطة وذلك سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م).

وضم الباب الثالث من هذا الكتاب الحديث عن الحمدانيون في مدينة حلب، إذ استعرضت الباحثة أحوال بلاد الشام قبيل دخول سيف الدولة الحمداني الى حلب من سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) الى سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) وامتلاك سيف الدولة لحلب وعلاقته بالآخشيديين في مصر خلال سنوات (٣٣٣ - ٣٣٦هـ/٩٤٤ - ٩٤٧م) والتي انتهت بسيطرة

سيف الدولة الحمداني على حلب من الاخشديين وأضاف اليها منطقة الحدود كطرسوس ومصبيصة وعين زربة وغيرها دون ان يدفع شيء لانه كان حامياً للمسلمين ضد الروم البيزنطيين في تلك المناطق واستمر سيف الدولة إلى سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) بحكم حلب وشمال الشام، ثم توجه بعد ذلك الى محاربة البيزنطيين اذ قام بعدة غزوات ضدهم استمرت قرابة عشرين سنة (٣٣٦ - ٣٥٦هـ/٩٤٧ - ٩٦٦م)، وقد ذكرت الباحثة ان هذا العمل تتطلب سياسة مالية كبيرة، اذ كان يجيز أخذ ما في أيدي الناس ويستخرج الأموال ليستعين بها على محاربة الروم، وهذا ما أجمع عليه الثقات كابن حوقل وسبط ابن الجوزي، وكان يتبع الغاية تبرر الوسيلة وفق ما عبرت عنه المؤلفة، فضلاً عن سياسته الحربية، كما تطرقت الباحثة إلى بعض مظاهر حكم سيف الدولة والحياة العلمية والأدبية في عهده، ثم عرضت الباحثة أحوال حلب بعد سيف الدولة وعلاقة الحمدانيين مع الفاطميين، وختم الكتاب بخاتمة لم تشمل كل مضامين الكتاب فقط اكتفت الباحثة بالحديث عن العلاقة بين الحمدانيين والفاطميين وهذا من سلبيات الكتاب فضلاً عن ان الباحثة لم تقدم الشيء الجديد في حين ان رؤية المؤلفة ركزت على الطابع الإقليمي دون تفعيل العناصر الموضوعية في تفسير الأحداث ويمكن القول ان الكتاب جدير بالاطلاع للمختص من باب المقارنة مع المؤلفات الأخرى في نفس الموضوع لاسيما ما كتبه فيصل السامر وأبحاث موسوعة الموصل الحضارية في جزءها الثاني السياسي. في حين ان الكتاب يدل على أهمية الموصل وتاريخها.

العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية

(٥٢١-٥٧٩هـ / ١١٢٧-١١٨٣م)

د. محمد نزار الدباغ*

نوقشت أطروحة الدكتوراه المعنونة بـ: العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية (٥٢١ - ٥٧٩هـ / ١١٢٧ - ١١٨٣م) للباحث الدكتور صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفر في قسم التاريخ بكلية التربية/جامعة الموصل وكانت بإشراف الأستاذ الدكتور نزار محمد قادر النعيمي في سنة ٢٠١٧، إذ تعد دراسة المدن من الدراسات المهمة في التاريخ الإسلامي، فقد اهتم المسلمون بالمدن منذ الفتح الإسلامي، من خلال تمصير المدن، وجعلها مقرات لانطلاق الحملات العسكرية، ومن ثم العمل على توطيد استقرار المسلمين، فتبع ذلك قيام الحواضر الإسلامية. وقد كانت المدينة هي الوحدة العمرانية التي بدأ بها المسلمون حضارتهم، لذلك فقد قامت دراسات عديدة عنيت بكبريات المدن العربية الإسلامية، إذ اهتمت هذه الدراسات بتاريخ فتح أو بناء أو تمصير تلك المدن.

وتكمن أهمية دراسة المدن فضلا عما تقدم في توضيح دور المدن في التاريخ الإسلامي، سواء من الناحية الدينية، أو العسكرية، أو السياسية، أو الاقتصادية، وما شهدته مدن الإسلام من أحداث تاريخية في حقبة معينة، أعطتها أهمية خاصة دفعت الباحثين للتعمق في تاريخها، ودراستها على النحو المفصل، وقد كان لمعظم المدن الإسلامية نصيب من تلك الدراسات وحسب معطيات خاصة، لهذا الاعتبار جاء اختيارنا لدراسة موضوع العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية خلال الأعوام (٥٢١_٥٧٩هـ/١١٢٧_١١٨٣م)، إذ أن هذه الحقبة بدأت بقيام الاتابكية الزنكية في العام ٥٢١هـ/١١٢٧م، وانتهت بخروج حلب عن سيطرة الزنكيين، وسيطرة الأيوبيين عليها في العام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، أي أن دراستنا للعلاقات بين المدينتين كانت خلال حكمهما من قبل الزنكيين. وتكمن أهمية هذا الموضوع انه تناول مدينتين عربيتين كبيرتين، تحت إدارة دولة فتية هدفها إعادة هبة الإسلام، وحماية المسلمين ومدنهم من أخطار شرسة، أهمها الضعف والانقسام، ومن ثم الخطر الصليبي الذي وجد من هذا الضعف فرصة ثمينة للانقضاض على الأرض العربية بدأ بالشام ومصر.

وقد وجد الباحث من إدارة دولة قوية كالدولة الزنكية لمدينتين مهمتين كالموصل وحلب ونجاحها في جعلهما عاصمتين لها، ونجاح التعاون بين المدينتين في إسناد الدولة الزنكية،

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق.

ورفدها بقوة مكنتها من الوقوف بوجه الغزو الصليبي بجدارة من جهة، وقيام علاقات مهمة بينهما ومن جوانب مختلفة في ظل إدارة تلك الدولة من جهة أخرى، موضوعا مهما لهذه الدراسة، إذ قامت علاقات واسعة بين الموصل وحلب وفي جوانب كثيرة، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فضلا عن العلاقات السياسية والعسكرية. وان قيام الدولة الزنكية بما حققته من انجازات في عصر شهدت فيه الخلافة العباسية مرحلة ضعف، كان فيها الزنكيون مصدر قوة للخلافة العباسية بعد ما شهدته من تهديدات، كل هذا جعل من الموضوع جديرا باهتمامنا ورغبتنا في البحث فيه .

ومن الجدير بالذكر أن هناك دراسات عدة قد تناولت مواضيع قريبة من موضوعنا، إلا أنها لم تتناوله بالتحديد الذي حرصنا عليه، إذ أن أكثر هذه الدراسات قد تناول الموصل وحلب في حقب زمنية واسعة وشاملة، كالعصر السلجوقي بأكمله، أو في عصر إسلامي آخر كالعصر الأيوبي، ولم تكن تلك الدراسات تركز على (العلاقات) تحديدا ومنها ما تناوله من الناحية العسكرية فقط وخلال حقبة زمنية أوسع، إلا ان الباحث حرص على تناول العلاقات في العصر الزنكي، ومن أوجه عديدة، وقد تم التركيز على المعلومات التي افتقدناها في المواضيع المذكورة، وفي الوقت نفسه، تعمد الباحث الى عدم التطرق الى معلومات عامة خاصة بالاتابكية الزنكية ذكرتها معظم الدراسات التي تناولت من الاتابكية الزنكية وقيامها بشكل عام وحتى نهايتها في العام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م موضوعا لها، كما ان الباحث لم يتعمق في التعريف المفصل للحملات الصليبية أو ما يخصها أو الشخصيات الصليبية، لأنها قد بُحثت من قبل في دراسات اختصت بالحروب الصليبية.

وقد واجهت الباحث صعوبات كبيرة في الحصول على معلومات خاصة بالعلاقات سيما ما يخص العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، فقد كانت المعلومات عن الموصل وحلب في الحقبة التي تناولناها قليلة جدا، ربما يعود السبب في ذلك الى أن المصادر الأولية، لم تكن تهتم بهذه الجوانب، باستثناء المعلومات الخاصة بالعلاقات العسكرية التي اهتمت بها المصادر الأولية وأكثر الدراسات الحديثة، فالمدينتين شهدتا الوحدة والحكم المشترك ابان الحكم الزنكي لهما، فلا يمكن أن تكون العلاقات بينهما في هذا المجال محدودة.

اما فيما يخص العلاقات الأخرى والتي ذكرها فقد كانت أكثرها خاصة بالعصر الأيوبي، الا القليل وقد بذل الباحث جهدا كبيرا في دراسته، اذ ما أراد توضيح العلاقات بين المدينتين ومن جوانب تؤكد على الاتصال الحضاري بينهما.

وفضلا عما تقدم، فقد أراد الباحث توضيح الأحداث التاريخية الخاصة بمدينة حلب، وتمييزها عن بقية مدن الشام، إذ انه ومن خلال الدراسة وجد أن الكثير من المصادر الأولية

والمراجع الحديثة كانت تشير الى حلب دون تحديدها ، أي أنها كانت تنسب الحدث التاريخي ، أو المعلومة التاريخية الخاصة بحلب الى (الشام) بشكل عام ، علما أن الخبر التاريخي كان يختص بحلب ، ولكن طبيعة النص كانت ترشدنا الى أن الخبر التاريخي خاص بحلب ، مما يدفعنا الى تحري الخبر من المصادر الخاصة بتاريخ حلب ، أو المصادر التاريخية التي ذكرت أخبار الاتابكية الزنكية للتأكد من الخبر. بعكس الحال مع مدينة الموصل ، فقد كانت أخبار الموصل منسوبة الى الموصل بشكل محدد ، ولم تُدرج مع مدن أخرى كبغداد على سبيل المثال.

وقد احتوت الدراسة على تمهيد ، وأربع فصول ، وخاتمة ، تناول التمهيد توضيح للعلاقات بين مدينتي الموصل وحلب قبل قيام الاتابكية الزنكية ، وتكوين دعائم دولتها ، إذ تناول العلاقات بين المدينتين منذ الحكم السلجوقي لهما ، وما حدث خلال تلك الحقبة من تغيرات سياسية ، أو تغير في الأمراء بين المدينتين في ظل الدولة السلجوقية ، كما تناول طبيعة العلاقات بين المدينتين في مرحلة الجهاد الإسلامي ضد الغزو الصليبي للأرض العربية ، حتى قيام الدولة الزنكية في الموصل.

وقد تطرق الفصل الأول الى مبحثين اختص الأول بالعلاقات السياسية بين المدينتين وماشهدته من تغيرات سياسية تبعت تغير الأمراء الزنكيين خلال الحقبة التي تناولها البحث ، بينما اختص الثاني بالنظم الإدارية المشتركة بين المدينتين ، أما الفصل الثاني فقد تناول العلاقات العسكرية ، وما شهدته من تعاون بين المدينتين في الجهاد ضد الصليبيين ، وما حققه ذلك التعاون من تحرير مدن وحماية أخرى من الخطر الصليبي ، وما حققه من توسيع لرقعة النفوذ الزنكي ، وغيرها من الأحداث .بينما تضمن الفصل الثالث مبحثين : تناول الأول : العلاقات الاقتصادية بين الموصل وحلب ، واهم أوجهها ، من الزراعة والصناعة والتجارة ، وعوامل اقتصادية أخرى كان لها الأثر في تعزيز الاقتصاد في الدولة الزنكية . وتناول الثاني العلاقات الاجتماعية : وقد شمل التركيبة الاجتماعية للمدينتين ، وتاريخها في العصر الزنكي ، واهم أوجه التشابه في مجتمعي المدينتين ، والخدمات الاجتماعية فيهما . فيما تضمن الفصل الرابع مبحثين : تناول الأول : العلاقات الثقافية : وقد بحث في الرحلات العلمية ، وطلب العلم عن طريق تنقل الشيوخ وطلاب العلم والفقهاء والمحدثين بين المدينتين ، ودورهم في النهوض بالموصل وحلب الى مكانة عالية في مجال القراءات والحديث والفقاه . وتناول الثاني : التأثيرات العمرانية المتبادلة بين المدينتين ، من خلال مظاهر البناء والعمران التي شهدتها كل منهما في العصر الزنكي ، اذ كانت المظاهر العمرانية من أهم سمات العصر الزنكي .

وتوصل الباحث في دراسته الى جملة من النتائج إستشفها من خلال العلاقات التي نشأت بين المدينتين من نواح مختلفة بحكم عوامل عديدة أهمها :

- ١_ الموقع الإقليمي الواحد ، إذ تقع الموصل شمال غرب العراق ، وتقع حلب على امتداد الموصل شمال غرب سوريا من جهة البحر المتوسط .
- ٢_ إدارتهما واحدة من قبل الدولة الزنكية .
- ٣_ كان للمدينتين دور كبير في الجهاد ضد الغزو الصليبي .
- ٤_ كانت جذور العلاقات بينهما ترجع الى عصور إسلامية سابقة ، أبرزها عصر الدولة الحمدانية .

وتمثلت نتائج الدراسة بما يلي :

أولاً : العلاقات السياسية :

إذ انه وعلى مدار السنوات التي كانت المدينتان فيهما تداران من قبل الدولة الزنكية لم تحدث بينهما نزاعات أدت الى حدوث حرب بينهما ، أو اختلاف في النهج ، بل بقيتا كما كانتا عليه منذ بداية عهدهما ، وهذا يعني أن الأمراء الزنكيين في المدينتين كانوا على اتفاق مستمر ، ولم يحدث بينهما خلاف سياسي حتى العامين الأخيرين من حكمهم لحلب ، وقد كان هذا الخلاف بتشجيع من خصومهم الأيوبيين ، وتسبب في فقدان الزنكيين لحلب .

ثانياً : العلاقات العسكرية :

فقد شهدت المدينتان تعاوناً عسكرياً في مواجهتهما للصليبيين ، أو خصماء الزنكيين ومنافسيهم السياسيين ، منذ قيام الاتابكية الزنكية ، وحتى العقد الأخير من الحكم الزنكي لحلب ، وقد شمل هذا التعاون ، جهوداً عسكرية مشتركة ، وفي عهود كل الأمراء في الموصل وحلب ، **كان أبرزها :**

- ١_ تحرير حصن الاثارب ، و طرد الروم والصليبيين بعد هجومهم على حلب ، وفتح مدينة الرها الأول في عهد عماد الدين زنكي .
- ٢_ تحرير الرها الثاني من الصليبيين ، وفك حصار الصليبيين عن دمشق ، وتحرير حصن العريمة ، والتعاون في فتح حصن حارم ، في عهد نور الدين محمود .
- ٣_ معركة قرون حماه ، ومعركة تل السلطان ، في عهد سيف الدين غازي الثاني .

ثالثاً : العلاقات الاقتصادية :

وقد قامت هذه العلاقات نتيجة وجود طرق تجارية مشتركة بين المدينتين ، ووفرة خيراتها ، وتنقل التجار عبر المدينتين ، و ان المدينتين كانتا في طريق التجار ، سيما وان تجار حلب كانوا يترددون الى الموصل باستمرار .

رابعاً: العلاقات الاجتماعية :

قامت هذه العلاقات كنتيجة طبيعية، لتماثل التركيبة الاجتماعية بين المدينتين لاستمرار التنقل بينهما، إما عن طريق التجارة ، أو تنقل الحرفيين .

خامساً: العلاقات الثقافية :

كان ذلك من خلال الرحلات العلمية ، إذ شهدت المدينتان رحلات متبادلة بين الشيوخ وطلاب العلم ، في العصر الزنكي ، إذ ان المدينتين قد ضمتا خيرة الفقهاء والأدباء ، وقد شهد العصر المذكور تبادلاً ثقافياً أعطى أكله من خلال التقدم الثقافي الذي شهدته الموصل وحلب في تلك الحقبة ، فضلاً عن التأثيرات العمرانية المتبادلة ، والتي ظهر أثرها في المساجد والجوامع التي بناها الزنكيون ، أو أعادوا بنائها. فقد كان للزنكيين دور في إقامة علاقات بين الموصل وحلب أكثر من الحقبة التي سبقت قيام الاتابكية الزنكية ، إذ أن تلك الحقبة لم تشهد الرقي الحضاري ، والنهوض العمراني ، لكون الولاة مشغولين بالخلافات في البيت السلجوقي ، أو الحروب ضد أعداء الدولة العربية الإسلامية ، في حين تميزت الدولة الزنكية ، بان الحرب لم تشغلها عن النهوض الثقافي والعمراني والاقتصادي .

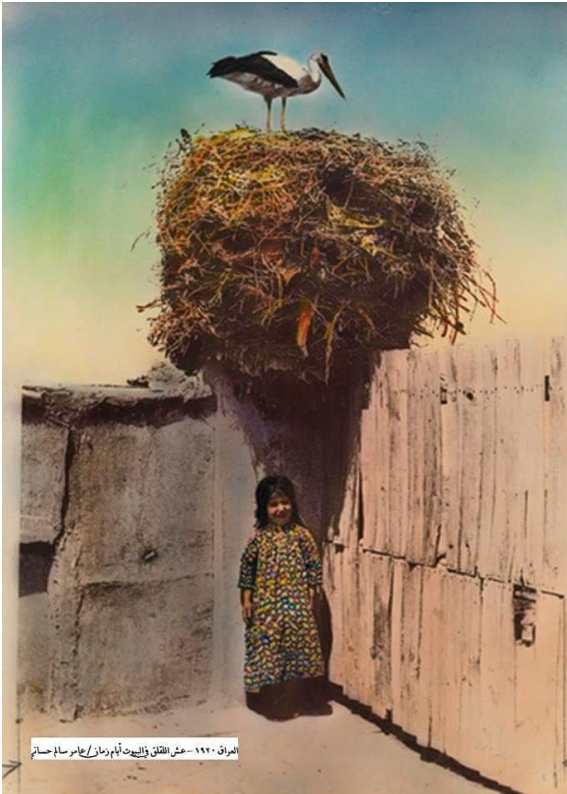
وأخيراً نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يكون هذا العمل مساهمة متواضعة ألفت الضوء على تاريخ هاتين المدينتين ضمن مدة الحكم الزنكي ، مما يعزز الدراسات التاريخية للمدن الإسلامية ومنها مدينة الموصل.

الموصل ونيوى: المشهد في الموصل سنة ١٩١٩

ترجمة: عامر بلو إسماعيل*

هذه المقالة القصيرة هي صورة لمقالة بدون كاتب مقتبسة من صحيفة قديمة صدرت في يوم الخميس تشرين الثاني سنة ١٩١٩ وهي صحيفة أنطاكيا نيوز الإخبارية، تصدر باللغة الانكليزية (The Antioch News) وقد نشرت لفترة قصيرة على احد مواقع الانترنت العالمية ثم اختفت لزوال الموقع لأسباب مالية على ما يبدو، ونتيجة لتعلق محتويات المقالة بتاريخ الموصل الحديث قمت بترجمتها لأضعها بمتناول الباحثين في تاريخ الموصل الحديث.

ترجمة المقال: المشهد في الموصل



إنَّ الميزة الأهم بالنسبة للموصل، بدت تظهر عليها التأثيرات المفيدة للسيطرة البريطانية، هو موقعها الجغرافي، فالموصل هي نقطة اتصال طرق القوافل من جميع الجهات، التي ترتبط بالمنطقة الجبلية وعبر الأراضي الصخرية المرتفعة من ديار بكر وبتليس، مروراً بالصحراء العظيمة من حلب، وعبر الرمال من فارس وبغداد. واسمها حقاً نابع من الاسم العربي "الموصل (Al-Mousil) منطقة الاتصال"، والموصل ستصبح مرة أخرى في المستقبل، عندما يكتمل خط سكة حديد بغداد الشهير. وقال مراقب

العلم المسيحي [كنية كاتب التقارير الصحفية كما مذكور في المقال (the Christian Science Monitor): وفي الوقت الحاضر جهود ألمانيا عظيمة والتي تبعد عن الموصل عدة أميال في الغرب وفي الجنوب، "والمدينة المتداعية". كما كانت تدعى باستخفاف، بقيت تعتمد في مواصلاتها على طرق القوافل كما كان يتم ذلك على مر العصور.

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق

ومن بين جميع المدن في الإمبراطورية العثمانية، الموصل كما وصفها احد الكتاب وصفاً حسناً بأنها المدينة الأقل تماساً بالحضارة الغربية ! فهي بنيت على ارض كانت ذات مرة ضاحية لنينوى، وهي تقع على الضفة الغربية من نهر دجلة، وتشرف أو تطل على تلال هي بمجملها أطلال العاصمة الأشورية العتيقة والمجيدة، فنينوى لها تاريخ يمتد فترة حوالي ألفي سنة ينتهي بسقوط إمبراطورية سنحاريب حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد^(١)، ومنذ ذلك التاريخ إلى أن كشف لايرد قصور آشور بانيبال، وسنحاريب ونبش غرفة أدبية تحتوي رقيم طيني الطوفان الشهير، وان أطلال نينوى لفترة ٢٥٠٠ سنة قد رقدت بلا إزعاج، وبالنسبة إلى الموصل ذاتها فقد ذكرت على مدى التاريخ، الذي هو تاريخ متقلب، لانها عانت من السلب والنهب على يد تيمور لنك، وحاصرها نادر شاه، وتحملت اوزار تقلبات أخرى.

لقالِق الموصل الكثيرة:

إنّ المدينة العتيقة بطرقها الضيقة الغربية، وحتى بالنسبة إلى الشرق، هي محاطة بسور نصف خرب، بني في العصر الحديث كحماية ضد هجمات عرب شمر، وأي شخص يلاحظ الشوارع الضيقة للموصل، وبيوتها البيضاء المنهارة، وغبار الجص المتساقط باستمرار من الجدران على أي شيء. وعن اللقالق، تبدو لقالق الموصل من المميزات الجديرة بالاهتمام، وبعد مناقشة احد الثقة حول موضوع اللقالق، قال انه في برد المساء هناك مواطنون من الموصل يشاطرون سطوح بيوتهم مع عدد لا يحصى من اللقالق التي بنت أعشاشها، غير المنتظمة في الأماكن المرتفعة "بغض النظر عن قوانين الجاذبية"، وهناك أربعة أنواع عظيمة وغريبة من اللقالق تقف في الصباح الباكر على الجدار قرب الغرفة حيثما هو كان، وقد أدرك بأنها كانت تترك فضلاتها في صباح، ولم تهتم بوجوده، وكان يثيرها الصوت العالي.

في الأسواق والساحة:

إن أسواق الموصل ليست أماكن جذابة يمكن أن تتوقعها في مدينة المواصلات الكثيرة، وكما قال وليام ويلفرد (William Warfield) في كتابه (بوابة آسيا) أنها [أي الأسواق] نادراً ما كانت تسقف، وهي مجهزة فقط ببضائع عادية، والبائعين في الدكاكين هم على الأغلب مسيحيين، على الرغم من وجود الكثير من العرب، وحاصلات البساتين غالباً ما كانت تباع في الساحات وفي الأسواق المفتوحة، وفي أي وقت، والباعة ربما يُشاهدون يتحدثون في الطرقات عن البيض والخيار. أما ساحات الجوامع فكانت مفضلة لباعة الحلويات، الذين يكشفون راحة الحلقوم في صواني نحاسية ذات حوافٍ نائثة. الأسواق لها امتدادات إلى ساحة قريية، إلى حد ما،

(١) سقوط نينوى على يد الميديين كان في سنة ٦١٢ قبل الميلاد.

من الجسر وهي مركز المدينة. وإلى الجنوب والجنوب الغربي يقع البزازين وصانعو الأحذية والسراجين، وإلى الشمال الغربي باعة الخضروات، بينما الخزافين وباعة الأواني الخزفية فهم يتواجدون في دكاكين ضيقة مفتوحة على شارع يمتد إلى الشمال.

وبالنسبة إلى الساحة نفسها، فهي بلا شك واحدة من أماكن اللقاءات الشهيرة في الموصل، وهنا تتجمع القوافل، وأصحاب القوافل يجلسون في صالة شهيرة في مقهى في الطابق الثاني^(٢)، أما سائقو البغال فهم يتجولون في الأماكن المكتظة والمزدحمة، أو يستلقون وسط حُرم مغطية بخيمة من الأكياس مقلمة باللون الأبيض والأسمر، وهؤلاء الرجال هم على الأغلب من الأكراد ومن عشائر الجنوب والشرق، يرتدون سترات قصيرة والسترة المطرزة والعمامات، كما كانوا يرتدون الشروال الذي يصل إلى أقدامهم التي يتعلون فيها الحذاء البروغ (brogue) الايرلندي أو حذاء منسوجاً من خيوط القنب أو مصنوعاً من الجلود غير المدبوغة.

موقع نينوى القديمة:

للكتير من الناس، الجاذب الكبير لهم لزيارة الموصل هو صعوبة الوصول إليها في ضمن سيطرة السلطان [السلطان العثماني]، وتقع عبر جسر القوارب الشهير على الجانب الآخر من نهر دجلة، إذ تقع التلال الكبيرة عديمة الشكل، التي تبرز من الرمال لتؤشر موقع المدينة العتيقة، نينوى، وأي محاولة لرواية قصة نينوى تتطلب العودة برحلة إلى بدايات الأشياء، ومؤخراً كما ذكر كتاب السريان بثقة أن القصة تعود إلى الأيام الأولى لخلق العالم.

(٢) على الأرجح يقصد مقهى الثوب على نهر دجلة، قرب الجسر الخشبي على القوارب.